AL-QANATIR
INTERNATIONAL JOURNAL OF ISLAMIC STUDIES
eISSN: 2289-9944
Vol. 34. No. 08. December Issue (2025)

THE FOUNDATIONS FOR SELECTING PREACHERS AND THEIR EFFECTS FROM A QURANIC PERSPECTIVE: AN OBJECTIVE, MAQASID BASED STUDY

أسس انتقاء الدعاة وآثارها من منظور قرآني: دراسة موضوعية مقاصدية

Abdullah Khalaf Al-Hinai[i], Thabet Ahmed[ii] & Sedek Ariffin[iii]

[i] (Corresponding Author). Ph.D Student, Department of Quran and Hadith, Academy of Islamic Studies, University of Malaya. alhinai4884@gmail.com
[ii] Associate Professor, Department of Quran and Hadith, Academy of Islamic Studies, University of Malaya. thabet2012@um.edu.my
[iii] Associate Professor, Department of Quran and Hadith, Academy of Islamic Studies, University of Malaya. sedek2001@um.edu.my

Article Progress
***Received**: 29 August 2025* ***Revised**: 23 Ocotober 2025* ***Accepted**: 30 November 2025*

Abstract

The study aims to clarify the Quranic objectives that preachers should use from the curriculum of the Holy Quran. And to try to clarify them for application. Since preaching is an official function, it is necessary to clarify the principles based on which preachers. The researchers relied on three methods: the inductive method: to track the verses and sayings of scholars that help clarify this, the descriptive analytical method: to study the sayings of scholars and then analyze these sayings, and the deductive method: to reach the results of the foundations for choosing the preacher. The study concluded that the Quranic basis for choosing preachers is inspired by the prophets, which the preacher must applyand preaching is an obligation on the nation. It highlighted the wisdom of the Quranic basis for choosing preachers, which is the call to God's reward and warning against His punishment, the purity. The study also clarified the effect of the Quranic foundations on the preacher, which is in guiding people and making the call successful, as well as morals and the rights of women and children. The originality in its concern with selecting preachers and the basis required for that.

Keywords: *Preachers, Call, Foundations, Quranic, Prophets.*

ملخص البحث

تهدف الدراسة إلى استجلاء المقاصد القرآنية ليتصف بها الدعاة من منهج القرآن الكريم ومحاولة توضيحها كي يسهل التطبيق بها في أرض الواقع، ونظرا لتوصيف الدعوة كوظيفة رسمية وجب توضيح الأسس التي يجب أن يتم انتقاء الدعاة بها. وقد اعتمد الباحثون على ثلاثة مناهج في الدراسة: المنهج الاستقرائي لتتبع الآيات والأحاديث وأقوال العلماء التي تعين على توضيح أهمية

الداعية وصفاته. والمنهج الوصفي التحليلي: وذلك لدراسة أقوال العلماء ومن ثم تحليل هذه الأقوال للوصول إلى نتيجة. والمنهج الاستنباطي: للوصول إلى نتائج الأسس في انتقاء الدعاة من خلال سطور الآيات المختلفة والحوارات الموجودة في القرآن الكريم. وخلصت الدراسة إلى أن الأسس القرآنية في انتقاء الدعاة مستلهمة من الأنبياء الذين لهم صفات أهلتهم لتحمل النبوة، وهي أسس يجب أن يطبقها الداعية لنجاح دعوته، وكما خلصت إلى أن الدعوة واجبة على الأمة كل بقدر استطاعته، وابرزت حِكمة الأسس القرآنية في انتقاء الدعاة وهي التبشير بثواب الله والإنذار من عقابه، والأصفاء الذي منحه الله تعالى الأنبياء ويستلهم منه الدعاة، والصبر على الشدائد. ووضحت أثر الأسس القرآنية للداعية والتي تكون في الهداية للأقوم ونجاح الدعوة وكذلك الأخلاق التي تكتسب من منهج الفرآن الكريم. وتكمن أصالة هذا البحث أنه يُعنى بانتقاء الدعاة والأسس المطلوبة لذلك من منظور مقاصدي قرآني.

الكلمات المفتاحية: الدعاة، الدعوة، الأسس، القرآني، الأنبياء.

المقدمة

لقد تبنى كتاب الله تعالى الدعوة إلى الله والعمل الصالح في الكون، وضرب لنا أمثلة من انبيائه وبعض عباده الصالحين وهم يطبقون منهج الدعوة الذي رسمه القرآن، وكثير من الآيات التي تشير صراحة أو تلميحا إلى استقاء المنهج الدعوي في التعامل مع البشر وبناء المنهج القويم في ذلك، وظل القرآن مُنذ أُنزل معينا للعلماء والدعاة وهو كتاب متجدد وصالح لكل زمان ومكان، واليوم الدعوة تحتاج للتجديد وفق ما يرسمه القرآن الكريم لكل المستجدات التي ابتكرها الأعداء ليصدوا الناس عن دين الله، وكان هذا المنهج هو الذي يجب أن يطبق وهو وحده القادر على صدّ هذه الموجات.

ومن المهم أن يتم اختيار الداعية المناسب للدعوة لأنه يعكس صورة الدعوة وشمولها، وبين لنا النبي ﷺ أفضل الأمثلة في اختياره الدعاة لكل قوم، فمثلا أرسل إلى اليمن سعد بن معاذ وإلى المدينة المنورة مصعب بن عمير والذي كان السبب الأول لدخول أفواج أهل المدينة الإسلام وكذلك ربيعي بن عامر إلى الفرس وجعفر بن أبي طالب إلى الحبشة وغيرهم ممن كانوا سبب في نشر دين الله.

مشكلة الدراسة

العالم يعيش اليوم على مستجدات تمثل تحدٍ على بقاء البشرية وأخلاقها مثل المخدرات والغش والظلم بطرق عصرية تحت غطاء القانون الدولي وانحطاط الأخلاق الإنسانية مثل انتشار المثلية والنسوية والإلحاد وكذلك التنازل عن المبادئ الدينية والعقدية، وكل هذه تحتاج لدراسة مفصلية تحد من هذه الفواحش وتوقف الأطر المسببة لها كشرعنتها وفق قوانين دولية.

كل هذه المفاسد الأخلاقية تحتاج لصحوة عامة تكون سدا منيعا لكل من يحاول ترويجها وجعلها مشروعة، وهذا الحمل يتحمله الدعاة خصوصا عند المرأة التي أصبحت أكبر استهداف للغرب. وأصبحت الدعوة في زماننا هذا وظيفة يفرغ لها الداعية من كل الأعمال فقط أن يقوم بالدعوة وأعمالها، ولذلك قد يطمع البعض فيها للراتب فقط وهو غير مؤهل لها، فوجب دراسة الأطر والأسس التي يجب أن تكون صفات في الداعية في هذه الوظيفة، وهذه الأطر والأسس تستسقى من معين كتاب الله وسنة رسوله.

أهمية البحث

١. حاجة الأمة في وقتنا هذا لتحديد الأسس التي تكون في الدعاة نظرا لتوظيف الدعوة وللفصل بينها وبين باقي المنصات الإعلامية.
٢. يعد هذا البحث أول دراسة علمية مختصة بدراسة أسس انتقاء الدعاة من منظور قرآني.

يقول الخليلي: إن على جميع المؤسسات العلمية من رياض الأطفال ومدارس القرآن إلى مؤسسات الدراسات العليا أن تربي الناشئة على تعظيم كتاب الله (الخليلي، ١٤٣٩هـ). إنّ السبيل لذلك يكمن في اخيار الدعاة المخلصين والمتمكنين في الدعوة، فعالمنا اليوم ليس كما سبق، والخطط التي توضع لكيد الإنسانية خطط دقيقة جدا يحتاج ذا علم وفطنة ليفهمها ويرصدها، ولا شك أنّ ذلك يأتي من خلال تدبر كتاب الله واستخلاص مقاصده لفهم معانيه وتطبيقه على الواقع. ولما كانت الدعوة هي السبيل الوحيد للوصول إلى الله ولمنهجه فقد راعى القرآن الكريم ذلك، ويستطيع الداعية أن يستخلص منه الأسس التي يبني عليها بنيانه الدعوي سواء من بعض الآيات الصريحة أو من قصص الأنبياء والصالحين.

الدراسات السابقة

الدراسات السابقة تهتم بالدعوة بالعموم، ولم أجد دراسة مختصة بأسس انتقاء الدعاة:

١. فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لمؤلفه: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، كتاب يحتوي على مجلدين، قسمه المؤلف على خمسة أبواب.

٢. الدعاة من غير الأنبياء في القرآن (دراسة موضوعية)، لمؤلفه: عقيل بن سالم بن عقيل الشمري، رسالة ماجستير قدمت في جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية سنة (١٤٢٩ هـ)، قسّم البحث إلى ثلاثة فصول من دون المقدمة.

المبحث الأول: مفهوم أسس انتقاء الدعاة من منظور قرآني

المطلب الأول: مفهوم أسس والانتقاء والدعاة لغة واصطلاحا

أسس: هي جمع لكلمة أساس وأسّ، وتعني أصل الشيء الوطيد الثابت، مثاله: أسّ وأساس البناء أي أصله ومبتدؤه (ابن فارس، ١٣٩٩هـ). انتقاء: من مصدر (انتقى) ويعني في اللغة: اختيار المخ من العظم (إبراهيم مصطفى وآخرون، د.س). الدعاة: جمع "داعية" والتي مصدرها "دعا" وتعني: (أن تميل إليك الشيء بصوت يكون منك وكلام) (ابن فارس، ١٣٩٩هـ)، ويتحدد مفهومها من حيث السياق تقول: (دعا بالشَّيء أي طلب إحضاره، ويقال دعا المتوفى ندبه وفلانًا استعان به ورغب إليه وابتهل، وإلى الشيء حثه على مقصده يقال دعاه إلى النزال ودعاه إلى الطاعة) (المعجم الوسيط، د.س). وجاء في "تهذيب اللغة" أن الدعاة: (القوم الذين يدعون إلى بيعة هدى أو ضلال) (الهروي، ٢٠٠١م).

من خلال هذه التعريفات نستخلص أن كلمة الداعية تأتي بمعاني عدة ويتضح ذلك من خلال السياق، فهي تعني الميل والطلب والنداء والرغبة والحث، وفي العموم هي تفيد الطلب مع وسيلة تبين ذلك الطلب كمثل الصوت أو الميلان ويحتاج معها الغاية التي تبين ما المطلوب من هذا الطلب.

واصطلاحا: جاء عدة تعاريف للدعوة عند العلماء، واختصر بعضها هنا وهي:

قيل: برنامج كامل يضم في أطوائه كل المعارف التي يحتاجها الناس ليبصروا الغاية من وجودهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي يجمعهم راشدين (الغزالي، ١٤٠٩هـ). وقيل: نداء الناس إلى الله تعالى إيمانًا به وتصديقًا وإلى دين الإسلام إجابة وتحقيقا (حسين، محمد يسري إبراهيم، ١٤٢١هـ).

من خلال هذه التعريفات نستطيع أن نخلُص إلى تعريف لـ(أسس انتقاء الدعاة) وهو: أصل المنهج الرباني المستخلص من عمق منهج الإسلام في اختيار أفراد يبلِّغون هذا المنهج بدقة وحسن توجيه.

المطلب الثاني: أسس انتقاء الدعاة من منظور قرآني

لكي نستطيع أن نستخلص هذه الأسس لا بد لنا من دراسة كيف اختار الله سبحانه تعالى الأنبياء لتحميلهم رسالته وفق ما بينه القرآن الكريم.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (القرآن: الحج. ٧٥)، ويقول: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (القرآن: الأنعام. ١٢٤)، ويقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (القرآن: القصص (٦٨))

من خلال هذه الآيات يتضح فلسفة اختيار الأنبياء وهي أنه أمر خاص بالله تعالى يختار كيف ما يشاء من البشر وفق ما يراه سبحانه من إمكانيات وقدرات لمن يختارهم من البشر أو من الملائكة، يقول محمد المكي: (فالرسالة عطية ربانية مجردة، واختيار إلهي صرف، بحيث لا ينفع فيها التمني، ولا تنال بالسعي والاكتساب، ولا بالاقتراح والترشيح من الأحباب والأصحاب) (المكي، محمد، ١٤٠٥هـ)، وهذا يعني أن لا تدخل بشري في الاختيار، فلا طلب أن يوصف دعاء موسى عليه السلام لأخيه هارون أنه من قبل المحاباة والواسطة، ولكنه إرادة الله تعالى لهارون عليه السلام حتى يكون سبب لنجاح الدعوة عند موسى ولأهمية وجود هارون في هذه الأحداث التي اتضحت بعد ذلك، وهذا الكلام أيضا في ذرية إبراهيم ومن بعده يعقوب.

إلا أنه لم يكن اختياره تعالى عشوائيا، ولكن وفق ما يراه من صفات خَلقية وخُلقية تؤهل هذا الإنسان لهذا الشرف، فالمهمة عظيمة ولا تسند إلا لأهلها، ولذلك كان النبي من أكمل خلق الله في رجاحة العقل وبنية الجسد والتماسك الاجتماعي والأصل الذي ينحدر منه، وكل هذه أسس يجب أن تنطبق فيه، ولكن عقول الناس لا تستوعب ذلك وتجدهم ينتقدون هذا الاختيار لنظرتهم القاصرة والتي ترى الزعامة في كثرة المال والجاه، وهذا ما تجده في القرآن الكريم من اعتراض القوم على نبيهم كما حصل مع طالوت ونبينا محمد ﷺ.

ويقول السعدي في تفسير الاصطفاء من الملائكة والناس رسلا كما بينته الآية الأولى في أعلاه: (إن الله يجتبي ويختار من الملائكة ومن الناس رسلا يكونون أفضل ذلك النوع، وأحقه بالاصطفاء، وأجمعه لصفات المجد) (السعدي، ١٤٢٠هـ). ويقول الخليلي عند الحديث عن اصطفاء الأنبياء: (إنّ كل عاقل ليدرك أنه تعالى لا يختار لهذا الأمر العظيم، ولا يرضى لهذه المهمة العالية إلا من كان من عباده أطيب فطرة وأزكى عنصرا، وأوفر عقلا، وأطهر سريرة، وأقوم سيرة، وأنور فكرا، وأخشى له، وأكثر تحريا لمرضاته، ووقوفا عند حدود الله، ويقظة في كل ما يذر وما يأتي) (الخليلي، ١٤٤٥هـ).

هذه الصفات التي بينها السعدي والخليلي هي جوهر الاصطفاء للنبوة، فهم يربطون بين المظهر والمخبر، وزيادة على ذلك خشيتهم لله، فلن تجد من سيرة نبي أنه عبد صنما أو سجد لغير الله حتى قبل بعثته، بل تجده من قبل نضوجه وهو سارح في ملكوت الله يبحث عن الدين الحق، إلا أنه يبحث عن الطريق الذي يوصله لذلك وهو ما تحقق بنزول الوحي عليهم.

على أن القرآن ضرب لنا أمثلة على الاصطفاء من غير الأنبياء؛ ليؤكد لنا أن باب الدعوة ليس مغلق عليهم فقط، بل هو مفتوح لكل من يتمكن نحر باب الدعوة من عباده الصالحين. ومن الآيات التي تدلّ على الاصطفاء من غير الأنبياء هي التي تدل على اصطفاء السيدة مريم يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (القرآن: ال عمران. ٢٤)، ولنا أن نتساءل ما هي الميزات التي جعلت السيدة مريم مصطفاة من رب العالمين مع أنها ليست من الأنبياء؟ هذا السؤال تجيب عليه سورة آل عمران لِما ذكرت من صفات جعلتها من المصطفين وهي:

أولها: دعاء أمها لها ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ وقالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (القرآن: آل عمران. ٣٥-٣٦). هذا الدعاء خرج من أم صادقة عابدة لله فاستجاب الله لها.

ثانيا: تقبل الله نذر أم السيدة مريم وتكفل بتربيتها وانبتها بنبات كما ينبت المولود في حياته من دون نقص أو مرض ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ (القرآن: آل عمران (٣٧).

ثالثا: كفّلها نبي ورباها تربية انبياء وهو النبي زكريا عليه السلام فكان هذا من فضل الله عليها.

هذه الصفات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى للسيدة مريم هي من اصطفاء الله لها فسخر لها أم وأب مؤمنين ثم رباها على عينه وهيئ لها نبي يربيها، وعَلِمَ تعالى من قوة الإيمان الذي في قلبها حتى كانت تنال كرامات يستغرب منها نبي الله زكريا وهو الطعام الذي يصل إليها من غير حول لها ولا قوة، ومن ثم أكرمها بكرامة أن ولدت نبي من غير أب فكانت كرامة نالتها من دون النساء.

مما سبق لنا أن نلخّص قضية اصطفاء الرسل في اتجاهين عند العلماء في ذلك:

أولا: أن الاصطفاء هو من الله تعالى دون الحاجة لمعرفة لِمَ تم الاصطفاء، فهو المختص بذلك ويفعل ما يشاء.

وممن ذهب إلى هذا القشيري (د.س)، والزمخشري (١٤٠٧هـ) ، واطفيش (١٤١٣هـ)، والناصري (المكي، ١٤٠٥هـ)، وغيرهم.

ثانيا: هناك أسس أهلتهم للنبوة وعلم الله بها بعلمه السابق ولذلك اختارهم.

وممن ذهب إلى هذا القول الشيخ علوان (١٤١٩هـ)، والسعدي (١٤٢٠هـ)، والرازي (١٤٢٠هـ)، والزحيلي (١٤١٨هـ)، وغيرهم. إنّ المتدبر في كتاب الله يجد أن هناك أسس ذكرها الله سبحانه في انبيائه تجعلهم يتميزون بها عن بقية البشر في ذكائهم وفطانتهم وحكمتهم واخلاقهم، ومن أمثلة ذلك:

١. العبودية لله والشكر: قال في نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (القرآن: الإسراء. ٣). وقال في سليمان ﴿نعمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (القرآن: ص. ٣٠). ومعنى أواب: (أي كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله) (ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ١٤٢٠هـ). هذه العبودية كانت مطلقة في جميع جوانب حياتهم، فلم تكن منحصرة في مكان دون مكان، وإنما تمثلت في عبادتهم وأقوالهم وحياتهم الاسرية والاجتماعية. ولذلك كان شكرهم على هذه العبادة هي عبادة تستحق الشكر لأنها توفيق من الله تعالى.

٢. الأمانة: قال انبياء الله نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، ووصف به جبريل عليه السلام فقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (القرآن: الشعراء. ١٩٣)، لأن المسؤولية عظيمة فلا يمكن أن يتحملها إلا القوي الأمين، ولقد حملوها على كاهلهم فأحسنوا الحمل وكانوا المثل الأعلى لحاملها.

٣. الإحسان والإخلاص: وصف بها نوح وإبراهيم وموسى وهارون واليأس فقال: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، وقال في موسى ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ (القرآن: مريم. ٥١). وهما خصلتان عظيمتان، فالإحسان أن تقوم بالعمل على أكمل وجه، ولذلك أمرنا به النبي ﷺ في كل شيء وحتى في الذبح (رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الإحسان، (٣/ ١٥٤٨) رقم ١٩٥٥). وكذلك في الإخلاص يجب أن يكون كل عمل يقوم به المؤمن خالصا لوجه سبحانه.

٤. الحكمة: قال في وصف آل إبراهيم ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (القرآن: النساء. ٥٤). الحكمة هي وضع الشيء في موضعه الصحيح، وانبياء الله تعالى تعاملوا بها بأدق تفاصيلها وأحكامها، فلا يمكن أن ينسب لهم خطأ في دعوتهم ونبوتهم لأنها مسددة وموجهة من لدن حكيم خبير

٥. قوة الحجة: قال في وصف إبراهيم ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ (القرآن: الأنعام. ٨٣)، وقال في وصف موسى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (القرآن: النساء. ١٥٣). هنا يظهر رجاحة العقل وقوة الرد، فكل سير الأنبياء مع أقوامهم تظهر قوة الحجة التي كانوا يتمتعون بها في ردودهم وهذا ما حصل مع إبراهيم عليه السلام مع النمرود، وموسى مع فرعون، ونوح وهود وصالح ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

٦. الحلم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (القرآن: التوبة. ١١٤). الحلم مرتبط برقة القلب وهذا تعامل الأنبياء مع أقوامهم بعد أن يتمكنوا منهم، وهو ما فعله نبينا ﷺ عندما عفا عن قومه الذين آذوه وطردوه من بلده.

٧. الكرم: قال في وصف إبراهيم ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (القرآن: هود. ٦٩). صفة الشهامة وهي صفة ملتصقة بأهل الشيم، وانبياء الله كانوا أكرم الناس ولقد قص لنا تعالى قصة إكرام الملائكة من قبل إبراهيم ولوط.

٨. المبالغة في الصدق: قال في وصف إبراهيم ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (القرآن: مريم. ٤١). الأصل في الإنسان أن يكون صادقا، ولكن انبياء الله كانوا أكثر مبالغة في الصدق ولا يمكن أن يرتجى منهم غش أو كذب ولو تلميحا أو إشارة.

٩. القوة والإبْصار: قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (القرآن: ص. ٤٥). وقال في سليمان ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ (القرآن: الأنبياء. ٧٩). صفة تكتسب من العلم وفضل يؤتيه الله تعالى من يشاء من عباده، وانبياء الله جميعهم تميزوا بها.

١٠. طلب العلم: قال عن موسى ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (القرآن: الكهف. ٦٦)، وقال في سليمان وداوود ﴿لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ (القرآن: النمل. ١٥). لم يكن وسم النبوة تجعل من الأنبياء يقفون عن العلم، بل كانوا أينما وجدوا باب التعلم سارعوا إليه سواء كان قراءة أو مهنة أو فهما.

١١. الثقة العظيمة في الله: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (القرآن: الشعراء. ٦١- ٦٢). تمثلت لديهم في موقف يقف الإنسان عاجزا مع نفسه، ولكن أنبياء الله لديهم الثقة الكاملة بأن الله تعالى لا يتركهم في أحلك المواقف وهو ما يحصل.

١٢. الوفاء بالعهد: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ (القرآن: القصص. ٢٩)، وقال في إبراهيم ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (القرآن: النجم. ٣٧). وهذا الذي يليق بهم، فعدم قضاء العهد هو خيانة لا يرضاها رب العالمين ولا الناس.

١٣. الأخلاق: قال تعالى مادحا نبيا ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القرآن: القلم. ٤). الأخلاق أسّ الحياة ونظامها، وهو مطلوب من كل البشر، فبه ترقى الأمم، وكان انبياء الله تعالى قمة في الأخلاق لا يجاروا بها.

١٤. الرحمة والصبر: يقول تعالى في النبي ﷺ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (القرآن: التوبة. ١٢٨). وامتدح الله بالصبر نبيه أيوب فقال ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ (القرآن: ص. ٤١)، وقال ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (القرآن: الأنبياء. ٨٥).

وقس على ذلك من الأسس التي امتدح الله تعالى بها انبيائه.

إنّ هذه الأسس هي أسس جوهرية لقيادة حكيمة ولا يتميز بها إلا أفضل الخلق؛ فلذلك كانت عناية الله بهم لكمالهم في هذه الصفات، ومن ثم اختارهم لتولي مسؤولية النبوة وهي مسؤولية عظيمة لا يقدر عليها إلا من تميز بهذه الصفات، يقول أحمد مختار: أي فرد أعزل مستضعف لا يمكنه أن يغير لأمة نظام العقيدة والتاريخ والمجتمع إلا إذا أيدته قوة قاهرة على القوى، فاستمد من ذخرها للصمود الانتصار والهجوم، إنّ هؤلاء الأفراد الذين اختارهم سبحان وجعل فيهم هذه الإمكانيات والقدرات هم وحدهم أمم، فإنّ كلا منهم مبدأ أمة جديدة وتاريخ محدث، جمع الله له في نفسه القوى اللازمة للمستقبل الجديد، فسرت منه إلى قلوب الأجيال (البزرة، أحمد مختار، ١٣٩٠هـ).

بعد هذه الأسس التي استخرجناها من كتاب الله تعالى نرجح أن القول الثاني هو القول الراجح وذلك مما يدل على أن النبي به صفات قيادية جعلته قائدا قبل أن يكون نبيا، وكل سير الأنبياء قبل البعثة تدل على ذلك، فالله تعالى اختارهم لعلمه السابق بأنهم أهل لتحمل الرسالة وأنهم الأقدر على مسؤوليتها.

المبحث الثاني: أهمية الدعوة والدعاة من منظور مقاصدي قرآني في نظر الإسلام

المطلب الأول: أهمية القرآن الكريم للداعية

جاء عن علي بن أبي طالب أنه قال: {سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ». قُلْتُ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، كِتَابُ اللَّهِ...} (الحديث. الترمذي. باب ما جاء في فضل القرآن. ٢٩٠٦). يوضح هذا الحديث مكانة القرآن في الحياة عموما وعند الداعية خصوصا، فهو العلاج إذا أصاب الأمة الفتن، وهو المخرج من هذه المصائب، ولذلك كلما تمسك به الداعية فإنه يتمسك بحبل متين يكون سند له في الدعوة وسلاح يستطيع أن يقارع به الحجة ويدفع به الباطل.

ولنسترجع بعض الآيات التي تشير لهذا المعنى وأنه لا دعوة بدون القرآن ومنها:

- ﴿الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القرآن: البقرة. ١-٢). يبين الله سبحانه هنا أن هذا القرآن هداية لعباده المتقين، وهذه الهداية هي هداية إرشاد وتوجيه من لدن مصدر عالم بأحوال البشر ومتطلباتهم. فمن تمسك بالكتاب وعمل بما جاء فيه كان على الطريق المستقيم.

- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ...﴾ (القرآن: الإسراء. ٩-١٠). يمدح الله تعالى كتابه هنا ويبين بأن هذا القرآن هو الذي يدلّ على الطريق الصحيح والأصوب الذي لا يخالطه شك، فكل أوامره ونواهيه لا يمكن أن تخطئ لأنها جاءت من لدن عليم خبير، ومن ثَم يبشر المؤمنين الذين يعملون به بالجنة وأن لهم أجر عظيم لا ينقطع ويتوعد الكافرين بالعذاب بالنار والبوار والخسارة (ابن كثير، ١٤٢٠هـ).

- ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (القرآن: الزخرف. ٤٣). يشير الله سبحانه وتعالى إلى نبيه بأن يتمسك بالقرآن الكريم ويعض عليه بالنواجذ لأنه هو الذي يهدي إلى الطريق المستقيم، ولفظ استمسك يعني المبالغة بالتمسك بهذا الأمر وهو القرآن الكريم، وهنا إشارة للنبي ولأمته وهي أن التمسك بهذا القرآن ليس تلاوة فقط وإنما العمل بكل ما جاء فيه، وهو كذلك شرف ورفعة لك ولقومك في الدنيا والآخرة، يقول الكندي في تفسير هذه الآية: طوبى لمن شهد ربّه له بذلك، ومن أراد أن يشهد له كما شهد لنبيه فليسلك طريقته ويمتثل أمره (الكندي، ١٤٠٥هـ).

إنّ هذه الآيات وغيرها سواء جاءت مخاطبة النبي ﷺ أو مخاطبة الأمة توضح أهمية أن يكون الداعية مستمسك بالكتاب في كل شؤون دعوته، وتَمَثَّل ذلك في النبي ﷺ في تطبيقه للقرآن ويدل عليه حديث سعد بن هشام بن عامر عندما سأل السيدة عائشة أم المؤمنين عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت: {كان خلقه القرآن} (ابن حنبل. مسند الإمام أحمد. مسند الصديقة عائشة. ٢٤٦٠١). والقرآن لديه قوة عظيمة متى ما رجعت الأمة له أثبت بأنه قادر على رفعتها وتثبيت كيانها، يقول الندوي: (القرآن وسيرة النبي ﷺ قوتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا في العالم

الإسلامي نار الإيمان والحماسة، وتُحدثا في كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي، وتجعلا من أمة مستسلمة ناعسة منخذلة، أمة فتية متلهبة غيرة وحماسة وحنقاً على الجاهلية وسخطاً على النظم الجائرة) (الندوي، د.س).

ويقول الغزالي في أهمية تدارس القرآن: وبالجملة كل العلوم تدخل في صفات الله عز وجل وأفعاله، وتفصيل ذلك في القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله (الغزالي، د.س). إشارة الإمام الغزالي هذه توضح بأن القرآن الكريم كتاب شامل قادر على حلّ كل أمر يعتري المرء، ولا شك بأن الدعوة باب عظيم يلزم صاحبها بأن يتفحص الآيات لكي يجد سبيل الدعوة خصوصا مع تطور العلم وانفتاح العالم وأصبح الشباب ينهلون من ثقافات غير إسلامية، فوجب البحث عن الحلول من كتاب الله وسيرة النبي ﷺ. ويوضح الخليلي (د.س) أن منهج القرآن منهج معتدل في الدعوة يقول: وجب أن يتصور الداعية أن المنهج القرآني هو المنهج المعتدل في الدعوة، بحيث لا يفرط في دعوتهم إلى الخير وتبصيرهم إليه ، ولا يحمل الداعية نفسه أوزار الناس.

ومن القدوات التي يذكرها لنا الله سبحانه وتعالى في كتابه ويريد من الداعية أن يستلهم منهم منهجه هم الأنبياء، لقد سطر الله تعالى قصصهم وذكر معاناتهم وصبرهم وكيف حققوا نجاحاتهم في الدعوة، ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (القرآن: يوسف. ١١١)، ليؤكد بأن هذه القصص ليست عابرة أو لتسلية والتخفيف فقط وإنما هي هدى ورحمة للدعاة وللمؤمنين في كل جوانب حياتهم المتمثلة باستلهام القدوات والتطلع للنجاح.

ولكي نختصر النقاط التي تتحدث عن أهمية القرآن للداعية:

١. أولا: وجب على الداعية أن يكون ملماً بما في كتاب الله أو أكثره حفظا ودراسة وتطبيقا.
٢. ثانيا: تعامل الدعوة يكون وفق توجه القرآن وهذا ما طبقه نبينا ﷺ في حياته، فأحيانا يكون رأي الإنسان بخلاف القرآن لأنه يراه هو الأصوب في وقته، ولكن نظرة القرآن أبعد من ذلك.
٣. ثالثا: تعتري الداعية مشكلات سواء في الدعوة أو في التعامل فيجب عليه أن يبحث عن حلها من كتاب الله.

المطلب الثاني: أهمية الدعوة في نظر الإسلام

لقد أمر الله تعالى هذه الأمة بالدعوة وجوبا ودلّ على ذلك كثير من الآيات التي تأمر بالدعوة، ولكن أهل العلم اختلفوا في هذا الأمر من حيث الوجوب هل هو وجوب عيني أم وجوب كفائي؟ ولتفصيل ذلك لابد أن ندرس هذا الباب في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه هو المقصود بالدعوة من حيث الحكم. القول الأول: الوجوب العيني، ونعني به: هو ما طلب الشارع فعله من كل فرد من أفراد المكلفين، ولا يجزئ قيام مكلف به عن آخر (خلاف، عبد الوهاب، د.س).

وأدلة أصحاب هذا القول هي:

١. قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (القرآن: آل عمران. ١٠٤). هذه الآية جاءت صريحة بالأمر بالدعوة فأول ما بدأت به لام الأمر الداخلة على الفعل المضارع، وكذلك حرف (من) في قوله (منكم) تفيد البيان هنا أي بمعنى كونوا أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. ويستدل الزجاج على أنها تفيد البيان بقول الله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ (القرآن: الحج. ٣٠)، على أن الله تعالى أمر باجتناب جميع الأوثان وكلها رجس وليس بعضها (الزجاج، إبراهيم، ١٤٠٨هـ). ثم قال ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وهذه فيها دليل وهو الحصر بتعريف المسند والمسند إليه وتوسط ضمير الفصل بينهما (هم)، أي أن الفلاح محصور في هؤلاء فقط (العدوي، خميس بن راشد، ١٤٢٨هـ).

٢. وقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (القرآن: آل عمران. ١١٠)، أي أنّ الله اصطفى أمة الإسلام لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة، ولذلك جعل الله فيها الخيرية على باقي الأمم لهذه الصفات التي تتصف بها.

٣. قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (القرآن: المائدة. ٧٨-٧٩). هنا ذكر تعالى العقوبة على كل من لم ينكر المنكر واستحقوا اللعن، والعموم يدل على الوجوب العيني دون التخصيص.

٤. عن عبادة بن الصامت، قال: {بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم} (البخاري. صحيح البخاري. باب كيف يبايع الإمام الناس. ٧١٩٩). هذا الحديث يدل على البيعة التي بين النبي ﷺ وبين الصحابة ومنها أمر الدعوة (حيثما كان).

٥. عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: {مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا} (الترمذي، سنن الترمذي، كتاب أبواب الفتن. ٢١٧٣). هنا يضرب لنا النبي ﷺ مثلا للدعوة، والمسؤولية تقع على كل فرد منهم، وأنّ تركها يسبب هلاكا للأمة كلها.

٦. عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان} (مسلم. صحيح مسلم. بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان. ٤٩). هنا لم يترك النبي ﷺ عذرا للمسلم من الدعوة، فقد وضع درجات له وكلٌ باستطاعته.

وممن ذهب إلى هذا القول الزجاج (١٤٠٨هـ)، وأبو سعيد الكدمي (١٤٠٥هـ)، والرازي (١٤٢٠هـ)، والبغوي (١٤١٧هـ)، والصالحي (١٤١٧هـ)، وتبغورين (١٤٢٦هـ)، وابن عاشور (١٤٠٥هـ)، والخليلي(د.س).

القول الثاني: وجوب كفائي

معنى الواجب الكفائي وهو: (ما طلب الشارع فعله من مجموع المكلفين، لا من كل فرد منهم، بحيث إذا قام به البعض فقد أدوا الواجب وسقط الإثم والحرج عن الباقين، وإذا لم يقم به أي فرد منهم أثموا جميعا بترك هذا الواجب) (خلاف، د.س). وأدلة أصحاب هذا القول هي:

١. يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (القرآن: آل عمران. ١٠٤). أصحاب هذا القول يقولون إنّ (من) هنا للتبعيض أي لتكن فرقة من هذه الأمة منتصبة للدعوة كما يقول ابن كثير (١٤٢٠هـ) في "تفسيره".

٢. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (القرآن: المائدة. ١٥٥). يرى النووي (١٣٩٢هـ) أنّ الرأي الصحيح عند العلماء في تفسير هذه الآية أن الإنسان إذا أدى ما كُلف به فلا يضره تقصير غيره، وأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما كُلف به المرء فإذا أداه فليس عليه حرج إن قصر فيه غيره. ثم أردف الإمام النووي استشهاده بأن الدعوة فرض كفاية بعد كلامه هذا.

٣. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ (القرآن: الحج. ٤١). يقول القرطبي بعد ذكر هذه الآية مستشهدا بها أنها دليل على الكفاية (وليس كلّ النّاس مكّنوا) (القرطبي، ١٣٨٤هـ).

٤. ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (القرآن: التوبة. ١٢٢). هذه الآية توضح بأنه لا ينبغي أن يخرج الجميع للجهاد وإنما تبقى طائفة منهم يتعلمون أمر دينهم ليعلموا الناس وينذرونهم، وهذا يبين بأنه ليس على الجميع بأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وإنما طائفة منهم.

٥. الذي يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يكون له علم، وهذا لا يتأتى إلا للعلماء، فبهذا يكون المقصود بكلمة (أمة) في آية (القرآن: آل عمران. ١٠٤) هم العلماء فقط وليس كل الناس.

٦. ويورد الإمام الرازي حجة هؤلاء بقوله: هذه الآية تأمر بثلاثة أشياء: إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، ومن المعلوم أنّ الدّعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر، فإنّه ربّما دعا الجاهل إلى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف (الرازي، ١٤٢٠هـ).

في الأمة من لا يقدر على الدعوة مثل النساء والمرضى والعاجزين ولن يكلفهم الله ما لا يطيقون. وذهب إلى هذا القول مقاتل بن حيان (١٤١٩هـ)، وابن جرير الطبري (١٤٢٠هـ)، وابن كثير (١٤٢٠هـ)، والجصاص (١٤٠٥هـ)،

وابن العربي (١٤٢٤هـ)، والقرطبي (١٣٨٤هـ)، والشقصي (١٤٠٠هـ)، ومحمد الكندي (١٤٠٥هـ)، والثميني (١٤٠٧هـ)، والشوكاني (١٤١٤هـ)، والزمخشري (١٤٠٧هـ)، وابن تيمية (د.س)، ومحمد رشيد (١٩٩٠)، والسعدي (١٤٢٠هـ)، واطفيش (١٣٩٢هـ)، وابن عثيمين (١٤٢٦هـ)، وكعباش (١٤٢٦هـ).

نستنتج مما سبق بأن جمهور العلماء يرون أنّ الواجب الكفائي هو الراجح، ولو أردنا أن نجمع بين القولين فإنه يمكن بطريقة تفصيلية، وذلك أن الحكم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستطيع كل واحد أن يغير بالدرجات الثلاثة التي وضحها النبي ﷺ باليد أو اللسان أو القلب. فاليد وضعت للسلطان فهو واجب عيني عليه كفائي على غيره.واللسان للعلماء والدعاة وهو واجب عيني عليهم كفائي على غيرهم .والقلب لعموم الناس وهو اجب عيني عليهم.

وأقرب من أشار إلى ذلك هو السالمي بقوله (السالمي، عبد الله بن حميد، ١٤٢٧هـ):

وهو على ثلاثة معـــــــاني ..... باليد واللسان والجنـــان
يلزم بالأيدي ذوي الأحكام ..... وباللسان سائر الأنـــــام
ومن يكن لم يستطع لعجـــز ..... إنكاره بقلـــبه قـــد يجـزي

المطلب الثالث: أثر الأسس في انتقاء الدعاة من منظور مقاصدي قرآني

هذه الأسس المستنبطة من كتاب الله هي زاد الداعية وصفاته التي يجب أن يتحلى بها، وبدونها لا يمكن أن يغمر عباب الدعوة، فالله تعالى ما ذكر لنا قصص الأنبياء والصالحين إلا لنستقي منهم هذه الأسس وليكونوا مدرسة لنا في نجاح الدعوة يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (القرآن: يوسف. ١١١). والوقوف مع قوله تعالى (لِأُولِي الْأَلْبَابِ) يدل دلالة واضحة أن هذه القصص لأصحاب العقول الصافية، يقول ابن عجيبة: (عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ: لذوي العقول الخالصة الصافية من شوائب الإلف والعادة، ومن الركون إلى الحس لأن الإخبار بهم على يد رسول أمي آية واضحة لمن تفكر بقلب خالص... (ابن عجيبة، ١٤١٩هـ). ولا شك بأن الدعاة هم أولى بأن يكونوا من هذه العقول.

وهذه الأسس لها حِكم أراد الله تعالى إيصالها للناس حتى يتصف بها الداعية أو يُختار على أساسها ومن هذه الحكم:

١. التبشير والانذار: يقول تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (القرآن: النساء. ١٦٥). إن أعظم حكمة أراد الله تعالى إيضاحها في رسله والذين هم قدوة الدعاة هو أن تكون وظيفة الداعية التبشير والإنذار، فالتبشير يكون في ثواب الله ونعمه في الآخرة والإنذار من عقابه وغضبه، يقول الرازي: وتقريره أن المقصود من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام أن يبشروا البشر على اشتغالهم بعبودية الله، وأن ينذروهم على الإعراض عن هذه العبودية، فهذا هو المقصود من البعثة الأصلي (١٤٢٠هـ).

٢. الاصطفاء: جعل الله حكمة الاصطفاء لخلقه حتى يميزهم عن غيرهم ويجعلهم قدوات يبلغون أمر ربهم ويهدون الناس بأفعالهم، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (القرآن: الحج. ٧٥). هذا الاصطفاء من الملائكة ومن الناس هو خاص للأنبياء، فالملائكة يبلغون الأنبياء بأمر ربهم فكان اصطفاء من الملائكة الذين يوحى بهم إلى المصطفين من البشر. والفائدة من هذه أن الدعاة الذين يحملون صفات الأنبياء قد اصطفاهم الله ليكملوا مهمة الأنبياء، ولكن بدون وحي فهو ثابت لديهم بما جاء من كتاب الله وسنة رسوله، وبه يكونون قدوة للبشر.

٣. الصبر على الشدائد: عندما يتصف الداعية بصفات النبوة ونضع له الأسس التي قام بها النبي فإنه لا بد أن يعلم بأن طريق الدعوة ليس طريقا سهلا، وعان الأنبياء فيه أشد المعاناة وأوذوا أشد الأذى، فلذلك وجب على الداعية أن يتحمل ما تحملوه ويحمل ما حملوه، وكان رسول الله ﷺ يصيبه الأذى ويصبّره ربه ويذكّره بقصص الأنبياء من قبله. إن الداعية هنا يرى هذه الشدة أنها أمر عادي ولا قيمة لها عندما يقارنها بثواب الله وما أعده لهم بالمقابل، فقبلهم صبر الأنبياء على أشد المصائب والمكائد، ولكن كان الفرج حليفهم، وهذه رسالة للداعية ولصبره.

بعد التمسك بهذه الأسس يوضح القرآن الأثر الذي يرجع على الداعية نفسه وعلى الأمة، وهذا الأثر هو:

١. الهداية للأقوم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (القرآن: الإسراء. ٩). يوضح الله تعالى أنّ اتباع القرآن في العموم يؤدي للطريق الواضح الصحيح في الحياة، فاتباعه في كل شيء هو ضمان المنهج وحسن الطريقة، ولا شك أن اتباع الداعية لكتاب الله وتطبيق أسسه فيه ضمان دعوته ونجاحها، وهذا ما أشار إليه ابن عجيبة (١٤١٩هـ).

٢. نجاح الدعوة: عندما يتمسك الداعية بالأسس القرآنية فلا شك في نجاح دعوته؛ لأنها جاءت من منبع صاف وممن هو عالم بأحوال خلقه، وضرب الله لنا قصص الأنبياء وكيف كان توفيقهم بسبب تمسكهم بهذه الأسس، بل إنّ الله تعالى ذكر قصص دعاة من غير الأنبياء كمثل السيدة مريم والعبد الصالح الذي رحل موسى له وذي القرنين.

٣. الأخلاق: إنّ مجمل ما جاء من دعوة للتمسك بالأخلاق والهمم العالية في القرآن الكريم ولو كانت دعوة عامة يكون تمثيل الدعاة بها آكد وأهم، فهم ورثة الأنبياء ويحملون وظيفتهم من بعدهم، ويمثلون الدين الإسلامي بكل صفاته، وهم القدوة للمجتمع بأكمله، يقول السعدي (١٤٢٠هـ): ووجه أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لصلاته، والمتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويزداد إيمانه، ويتطهر فؤاده،

وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها. وقس على ذلك باقي العقائد والعبادات.

٤. بناء مجتمع متماسك: كمثل الأمر بالبر بالوالدين وذي القربى والمساكين والجار سواء كان من القربى أو من الجنب وابن السبيل وهذا ما ذكر الله تعالى في آية (القرآن: النساء. ٣٦)، وهذا توجيه رباني لبناء مجتمع متماسك.

٥. العدل والإنصاف: عندما تكون الدعوة ناجحة يكون من آثارها نشر العدل والإنصاف وضمان الحقوق، وهذا ملموس في زمن حياة الأنبياء ومن جاء بعدهم كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

٦. حقوق المرأة: إن المتتبع للآيات التي تتحدث عن النساء يدرك الحس العاطفي لهن، وقد بين ذلك تعالى في سورة النساء والأحزاب والتحريم وغيرها من الآيات المبثوثة في بعض السور. إنّ تطبيق الدعوة لدى النساء عامل مهم لبسط هذه الحقوق وتوضيحها ومن ثم تطبيقها.

٧. حقوق الطفل: لقد بسط القرآن الكريم جانب تربوي في حفظ نفس الطفل وتربيته، فقد أمر تعالى بعدم قتله مهما يكن جنسه فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ (القرآن: الأسراء. ٣١)، وأمر بضمان حقوقهم فقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) (القرآن: النساء. ١١)، وبين كيف يخاطب الآباء أبنائهم فهذا نبي الله يعقوب على خطأ فعل أبنائه في أخيهم يوسف إلا أنهم خاطبهم بقوله (يَابَنِيَّ) (القرآن: يوسف. ٨٧). وهذا نبي الله نوح يخاطب ابنه الذي رفض الركوب معه بقوله: ﴿يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (القرآن: هود. ٤٢). وقس على ذلك، فمع الخطأ لم يأمر بالعقاب وإنما بجمال الأسلوب، وهذا باب في الدعوة عظيم.

وإنه من الواجب على الأمة أن تهتم في تكوين الدعاة وتعليمهم وتهيئتهم بتعليمهم أسس الدعوة وتطبيقاتها، يقول الغزالي: (إنّ تكوين الدعاة يعنى تكوين الأمة. فالأمم العظيمة ليست إلّا صناعة حسنة لنفر من الرجال الموهوبين. وأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض الموات، وأثر الشعاع في المكان المتألق (الغزالي، ١٤٤٠هـ) ، إنّ نتيجة هذا التكوين والتطبيق يكون في نجاح الأمة ورقيها كما رفع الله أمة الإسلام بنبيها عندما كانت في حطيط الأمم لتصبح بعدها أمة عظيمة تقود العالم أجمع، وما أحوج اليوم الأمة بمثل ذلك.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى:

١. اختار الله تعالى الأنبياء للمؤهلات الذي فضلتهم عن غيرهم وبما كانوا يتميزون به من فطانة وذكاء جعلتهم أقدر على تحمل الرسالة وتأديتها على الوجه المطلوب وتحمل أذى المدعوين والصبر، ولذلك كانوا قدوة للدعاة في كل شؤن حياتهم من النشأة إلى الممات.

٢. الأسس التي ذكرها الله تعالى في الأنبياء هي زاد الداعية وسبب نجاح دعوته..

٣. أهمية القرآن الكريم للداعية فوجب عليه التعامل وفق منهج القرآن (فهماً وقولاً وممارسةً عملية) لا ما يراه هو، وأن يتخلق بالقرآن الكريم كما كان يعمل نبينا محمد ﷺ، وأن يكون المرجع إليه في حلّ المعضلات، والتعامل مع المدعوين.

٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الأمة ويتحدد وجوبه وفق إمكانية التغيير، فباليد يكون واجب عيني على الحاكم، وبالسان واجب عيني على العلماء وكفائي على غيرهم، وبالقلب واجب عيني على الجميع بدون استثناء.

٥. من حِكم الأسس القرآنية للداعية التبشير بثواب الله والإنذار من عقابه وكذلك الأصفاء الذي منحه الله تعالى الأنبياء ويستلهم منه الدعاة؟

٦. من أعظم حِكم الأسس القرآنية كذلك الصبر على الشدائد، فما من نبي إلا وصبر على الأذى وهكذا يكون الداعية.

٧. من مقاصد الأسس القرآنية للداعية الهداية للأقوم ويتمثل ذلك باتباع منهج القرآن الكريم.

٨. ومن المقاصد كذلك نجاح الدعوة وهو مقرون باتباع المنهج الصحيح الذي منبعه القرآن الكريم، ونجاح الدعوة يعني صلاح البشرية.

٩. ومن المقاصد الاجتماعية بناء مجتمع متماسك والأسرة كمثل العدل والانصاف وحقوق المرأة والطفل.

REFERENCES

Al-'Adwi, Khamis bin Rashid. (428 AH). *Al-Diyn Wa Al-Haya*. 1st ed. Muscat: Technical Office For Generations.

Atfish, Muhammad bin Yusuf. (1392H). *Sharh Kitab Al-Niyl Wa Shifa' Al-'Alil*. 2nd ed. Beirut: Dar Al-Fath.

Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad ibn Muhammad al-Tusi. (N.d). *Ihya' Ulum al-Din*. Beirut: Dar al-Ma'rifah.

Al-Ghazali, Muhammad. (1409H). *Ma'a Allah Dirasat Fi Al-Da'wah Wa Al-Da'iyah*. 1st ed. Beirut: Dar Al-Qalam

Husaynun, Muhamad Yusri Ibrahim. (1421H). *Mabadi 'Ilm Usul Al-Da'wah*. al-Riyad: Dar Tibati.

Ibn 'Ajibah, Ahmad bin Muhammad. (1419H). *Al-Bahr Al-Madid*. 1st ed. Taḥqīq Ahmad 'Abdullah Al-Qurashi Raslan. Cairo: N.pb.

Ibn Kathir, Ismail bin 'Umar. (1420H). *Tafsir AL- Qur'an Al-'Azim*. Taḥqīq Sami bin Muhammad Salamah. 2nd ed. Al-Madinah: Dar Tayyibah.

Al-Kadmi, Muhamad bin Sa'id. (1405H). *Al-Mu'tabar*. Sultanah 'Umman: Wazarat Al-Turath Al-Qawmi Wa al-Thaqafah.
Al-Khalili, Ahmed bin Hamad. (1439H), *Nida' Al-Haqq Al-Kalimat Al-Tayyibah*. 1st ed. Muscat: N.pb.
Al-Kindi, Muhammad bin Ibrahim. (1405H). *Bayan al-Shari'ah*. Oman: Ministry of National Heritage and Culture.
Al-Makki, Muhammad Al-Nasiri. (1405H). *Al-Taysir Fi Ahadith Al-Tafsiri*. 1st ed. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.
Muhammad Rashid, Muhammad Rashid bin 'Ali. (1990). *Tafsir Al-Manar*. N.p: Egyptian General Book Authority.
Al-Nadawi, 'Ali Abu Al-Hasani. (N.d). *Madha Khasira Al-'Alam Bi Inhitat Al-Muslimin*. Al-Mansurah: Maktabat al-Imani.
Al-Nawawi, Muhyi al-Din Yahya bin Sharaf. (1392H*), Al-Minhaj, Sharh Sahih Muslim*. 2nd ed. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-Arabi.
Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad. (1384H). *Al-Jami' Li Ahkam al-Qur'an*. Taḥqīq Ahmad al-Barduni and Ibrahim Atfish. 2nd ed. Cairo: Egyptian National Library.
Al-Qushayri, 'Abd Al-Karim. (N.d). *Lata'if al-Isharat.* Tahqiq Ibrahim Al-Basyuni. Misr: al-Hay'at al-Misriyyah al-'Ammah.
Al-Razi, Muhammad bin 'Umar bin Al-Hassan. (1420H). M*afatih al-Ghayb*. 3rd ed. Beirut: Dar Ihya' Al-Arabi.
Al-Sa'di, 'Abd al-Rahman bin Nasir. (1420H). *Taysir Al-Karim Al-Rahman Fi Tafsir Kalam Al-Manan*. 1st ed. N.p: Al-Risalah Foundation.
Al-Salmi, 'Abdullah bin Hamid. (1427H). *Jawhar al-Nizam*. 14th ed. Sultanate of Oman: Imam Nur Al-Salmi Library.
Al-Shawkani, Muhammad bin 'Ali bin Muhammad. (1414H*). Fath al-Qadir*. 1st ed. Damascus: Dar al-Kalim al-Tayyib.
Sheikh Alwan, Ni'mat Allah bin Mahmud Al-Nakhjawani. (1419H). *Al-Fawatih Al-'Ilahiat Wa Al-Mufatih*. 1st ed. Al-Ghuriyah: Dar Rakabi for Publishing.
Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (1420H). *Jami' al-Bayan fi Ta'wil al Qur'an*. Tahqiq Ahmad Muhammad. 1st ed. Beirut: Al-Risalah.
Al-Zajjaj, Ibrahim bin Al-Sari. (1408H). *Ma'ani al-Qur'an Wa I'rabuhu*. Taḥqīq 'Abd al-Jalil. 1st ed. Beirut: 'Alam Al-Kutub.
Al-Zamakhshari, Mahmud bin Amr bin Ahmad. (1407H). *Al-Kashshaf*. 3rd ed. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
Al-Zuhayli, Wahbah bin Mustafa. (1418H). *Al-Tafsir Al-Munir Fi Al-'Aqidah*. 2nd ed. Damascus: Dar Al-Fikr Al-Mu'asir.

نفي

الآراء الواردة في هذه المقالة هي آراء المؤلف. القناطر: مجلة الدراسات الإسلامية العالمية لن تكون مسؤولة عن أي خسارة أو ضرر أو مسؤولية أخرى بسبب استخدام مضمون هذه المقالة.